بسم الله الرحمن الرحيم

روسيا وأفغانستان: توسيع النفوذ تحت ستار التعاون الأمني

(مترجم)

الخبر:

قام سيرغي ناريشكين، مدير جهاز الاستخبارات الخارجية الروسي، بزيارة إلى كابول يوم الأربعاء ١٤ تشرين الأول/أكتوبر ٢٠٢٦، وعقد محادثات مع عبد الحق واثق، المدير العام للاستخبارات في النظام الحاكم في أفغانستان، فضلاً عن عدد من كبار مسؤولي النظام. وقد تم تحديد توسيع العلاقات الثنائية، وتبادل المعلومات الاستخباراتية، وتعزيز التعاون الأمني بين روسيا والنظام الحاكم في أفغانستان باعتبارها المواضيع الرئيسية لهذه الاجتماعات. (بي بي سي فارسية)

التعليق:

تأتي هذه الزيارة في وقت كانت فيه المخاوف بشأن التهديدات الأمنية في أفغانستان والمنطقة الأوسع، ولا سيما وجود الجماعات الجهادية على الأراضي الأفغانية، من بين القضايا الرئيسية المثيرة للقلق والنقاش بالنسبة للقوى الإقليمية، بما في ذلك روسيا والصين. وعلاوة على ذلك، أضافت التوترات الأخيرة بين أفغانستان وباكستان مزيداً من التعقيد إلى ديناميكيات الأمن في المنطقة.

روسيا هي الدولة الأولى التي اعترفت رسمياً بالنظام الحاكم في أفغانستان. ويمكن تقييم زيارة سيرغي ناريشكين إلى كابول أيضاً في السياق الأوسع لتوسيع العلاقات السياسية والأمنية لروسيا مع النظام الحاكم في أفغانستان. فقد اعترفت روسيا رسمياً به في تموز/يوليو ٢٠٢٥. ومنذ ذلك الحين، أكد الجانبان على توسيع التعاون الأمنّي والعسكري وتوصلا إلى اتفاقيات بهذا الشأن.

وتُعد روسيا من بين الدول التي كانت لديها مخاوف أمنية جدية بشأن أفغانستان في أعقاب تطورات عام ٢٠٢١. ويرجع ذلك إلى أن أفغانستان تشترك في الحدود مع ثلاث دول في آسيا الوسطى، وهي: طاجيكستان، وأوزبيكستان، وتركمانستان. وتقع هذه الدول ضمن دائرة نفوذ روسيا وتُعتبر بمثابة حديقتها الخلفية. ومن جهة أخرى، فإن وجود جماعات جهادية من آسيا الوسطى في أفغانستان، بما في ذلك الحزب الإسلامي التركستاني، وأنصار الله في طاجيكستان، والجماعات الأويغورية، قد أثار مخاوف روسيا الأمنية على المستوى الإقليمي. وفي الآونة الأخيرة، وخلال اجتماع صيغة موسكو، أعربت روسيا بوضوح عن مخاوفها إزاء أنشطة الجماعات التي تصفها بالمنظمات الإقطارية (الإرهابية).

وبالإضافة إلى هذه التطورات، وفي أعقاب أحداث عام ٢٠٢١، شهد قطاع التعدين في أفغانستان، ولا سيما استخراج الذهب، نمواً ملحوظاً. وقد دخلت دول مختلفة، بما فيها الصين، في قطاع تعدين الذهب في أفغانستان، مم يجعل لوجود الصين في البلاد اعتباراً مهماً لكل من روسيا وأمريكا. تجدر الإشارة أيضاً إلى أن الصين، مثل روسيا، واجهت مخاوف أمنية جدية بشأن أفغانستان في أعقاب التطورات في البلاد. وبناءً على ذلك، سعت الصين إلى إقامة علاقات وثيقة مع أفغانستان من أجل الحد من التهديدات الأمنية التي ترى أنها تنبع منها. وتشترك أفغانستان في حدود مع الصين، ويُعتبر وجود المسلمين الأويغور في أفغانستان تهديداً خطيراً من وجهة نظر الصين.

إن أحد الأهداف الرئيسية وراء زيارات المسؤولين الاستخباراتيين الروس إلى أفغانستان، فضلاً عن إنشاء وتوسيع العلاقات السياسية والاقتصادية والاستخباراتية والعسكرية معها، هو منعها من تطوير علاقات وثيقة بشكل مفرط مع أمريكا والصين والقوى العالمية الأخرى؛ وذلك لأن روسيا تعتبر توسيع نفوذ أمريكا في المنطقة تهديداً خطيراً. وتخوض روسيا الحرب في أوكرانيا بينما تواجه في الوقت نفسه تحديات اقتصادية وعسكرية عديدة؛ ولذلك فهي تسعى لإدارة الأزمات الإقليمية.

ومن بين التطورات التي تراها روسيا فرصة وتسعى لاستغلالها إلى أقصى حد، التوترات بين أفغانستان وباكستان، والتي اشتدت في الأشهر الأخيرة. تحاول باكستان، بموافقة ضمنية من أمريكا، ممارسة الضغط على أفغانستان لإرغامها على الامتثال لمطالب البلدين. ومع ذلك، لم يتوافق حكام أفغانستان حتى الآن مع مطالبهما وأهدافهما في المنطقة.

تسعى روسيا للاستفادة من هذه الفرصة عبر تولي دور الوساطة في تسوية التوترات بين أفغانستان وباكستان، مسلطةً الضوء بذلك على مكانتها الإقليمية والتاريخية في هذه العملية. وفي هذا السياق، وتزامناً مع زيارة مدير جهاز الاستخبارات الخارجية الروسي إلى أفغانستان، سافر وزير داخلية روسيا أيضاً إلى باكستان في ١٤ تشرين الأول/أكتوبر في زيارة استغرقت أربعة أيام، أجرى خلالها مباحثات مع المسؤولين الباكستانيين. وفي وقت سابق، كان وزير خارجية روسيا سيرغي لافروف قد أعلن خلال اجتماع صيغة موسكو أن بلاده مستعدة للتوسط بين أفغانستان وباكستان لتطبيع العلاقات وإنهاء التوترات.

تسعى أفغانستان في ظل الظروف الراهنة وبسبب تحدياتها السياسية والاقتصادية إلى التواصل مع دول مختلفة. لقد أدى إغلاق الحدود بين أفغانستان وباكستان لمدة عام تقريبا إلى تفاقم الصعوبات الاقتصادية المتعلقة بالعبور في أفغانستان. ونتيجة لذلك، فهي تبحث عن سبل لمعالجة هذه التحديات وفتح مسارات جديدة لتوسيع علاقاتها التجارية وعبور البضائع، لا سيما عبر آسيا الوسطى وروسيا.

من منظور إسلامي، فإن طلب المساعدة من الدول الكافرة حرام. ولذلك، يجب أن يُجرى أي شكل من أشكال التعاون مع مراعاة الأحكام الإسلامية، ومصالح الأمة الإسلامية، والتجارب التاريخية للشعب المسلم في هذه الأرض. ويجب عدم السماح لأفغانستان بأن تصبح ساحة للتنافس بين القوى الكبرى.

وفقاً للأحكام الإسلامية، تُعتبر روسيا دولة محاربة ومحتلة، ولن تُمسح جرائمها أبداً من ذاكرة المسلمين. وعلى وجه الخصوص، لن ينسى مسلمو هذه المنطقة أبداً الانقلابات والاحتلالات والقصف، وملايين الضحايا الناتجة عن تدخلاتها. فمن دورها في إضعاف الخلافة العثمانية والمشاركة في تقسيم بلاد المسلمين، إلى هيمنتها على مساحات شاسعة من آسيا الوسطى والقوقاز، واحتلالها أفغانستان، والقمع الدموي للمسلمين في الشيشان، ودعمها للأنظمة الديكتاتورية في شتى أنحاء البلاد الإسلامية، تشكل جميعها جزءاً من سجلها التاريخي. كما أن تدخلها العسكري المباشر في سوريا ودعمها لنظام بشار الأسد، فضلاً عن القيود المفروضة على القيم والأنشطة الإسلامية في دول آسيا الوسطى، تدلل بشكل أكبر على استمرار سياستها الخارجية في تأمين المصالح الاستعمارية وتوسيع نفوذها.

كتبه لإذاعة المكتب الإعلامي المركزي لحزب التحرير

شمس الدين كابولي